Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في مفتتح (وقائع أيام الجزر Chronique des Jours de Reflux لعبد الله الساعف [1] حافز تجليه رسالة توصل بها السارد لمطالبته بالحكي. يتجه الطلب إلى الماضي بغية سرد ما جرى (في السنوات الأخيرة)، ونجد أنفسنا أمام رغبة عميقة مشفوعة بجواب فوري سوف يقع التصريح بأحواله جميعها: من الأعماق، بالتفاصيل، بدون تحليل... إلخ، بل ويمكن أن نجد في القبول بالجواب برنامجا سرديا سيكون محكوما في النص بما يسميه السارد المجيب ب (البحث عن التواصل الداخلي، استبطان الغصص، الإصغاء للصمت...).

ومن الملاحظ أن التصريح الإسمي بالجواب ليس وعدا فقط، ولكنه شروع مباشر في الحكي باصطناع ضمير المتكلم (أنا) الحاضر والضمير الغائب (أنت) وهما يقومان بوظيفة التبادل اللفظي المرتكز على الحوار عبر الكتابة (التراسل) وعلى السؤال الضمني والجواب العلني، واعتماد مبدإ الحكي القاضي ضمنيا بإنشاء عالم سردي تتوالى فيه الملفوظات الناظمة للخطاب، وثبوت عنصري الزمن والتاريخ بما يعنيانه من عودة إلى الماضي كمجال للتذكر وتحقيب فترة معطاة تؤطر المتن المسرود.

نحن أمام سلسلة من الأحداث المروية والمعاشة بين 1965 و1985 باعتماد التعريف بالحدث في علاقته بالذات ونقده في علاقته بالفكر والتحرر منه أيضا باعتباره ماضيا. ولذلك نعثرعلى قرائن نصية تصدر عن توظيف المحكي الذاتي وتحيل النص، من خلال ما يسميه السارد، ب (الوصف الواقعي ما أمكن للحظات الدالة على السنوات العشرين الأخيرة من تطورنا)، إلى مشروع بحث عن «الحقيقة»، أي عن التماهي الذاتي مع مسار واقعي متصور (أو يُرى كذلك)، وهو ما يعطي الانطباع بأن السيرة الذاتية هنا، من منظور المسارالواقعي والبحث فيه عن الحقيقة، تصبح وعيا بتاريخ الذات المسرودة والساردة على السواء.

صدر كتاب (الرحيل)[2] للعربي باطما في سلسلة «بيوغرافيا» وعلى غلافه «سيرة ذاتية». هل يتعلق الأمر بالتباس جنسي لا يتوقف عن المراوغة؟ وهل الحاكي للنص غير المجنّس له ؟ أم أن البيوغرافيا يمكن أن تكون أيضا حكاية مؤلف عن أناه و مساره العام ؟ عن مضاعفه إذا شئنا.

مهما يكن من أمر فإننا إذا أخذنا المقدمة التي استهل بها المؤلف كتابه وجدنا أن الإصرار على ممارسة الكتابة السيرذاتية لم يصبح (قرارا) إلا بعد أن ابتلي «بالمرض

1 - Editions L'Harmattan, Paris 1993

2 - منشورات الرابطة، دجنبر 1995، الدار البيضاء المغرب، 173 ص.